الشـــارب

للقصصى الفرنسى جى دى موبسان

عزيزتى لوسيا :

لا جديد عندنا . نحن نقضى أوقاتنا فى غرفة الاستقبال ، نتلهى بالنظر إلى المطر وهو يتساقط ، وحيث أنه يتعذر الخروج فى هـذه الأيام العابسة ، فإننا نتسلى بتمثيل رواية هزلية ، ولـكن ... ما أسخف الروايات التى أعدت لتمثل فى الدور ، كما وردت فى القائمة الحالية ! ؟

إن كل ما فيها سمج ، متكلف ، غليظ ! ... ولا يقل فصل النكات التى تشتمل عليها عن فصل القنابل . إنها تحطم كل شىء مع أنه ليس فيها أدنى أثر لا للذكاء ولا للدعابة ولا للباقة !

حقاً إن رجال الأدب لا يعرفون شيئاً عن العالم ! إنهم ليجهلون كل الجهل كيف نفكر وكيف نتكلم ! فإذا أجزنا لهم أن يمقتوا عاداتنا ومواضعاتنا فلا يسعنا أن نجيز لهم أن يجهلوها . وهم إذا أرادوا التدليل على براعتهم وحذقهم لعبوا بالـكلمات لعباً غريباً من شأنه أن يزيل غضون ثكنة بأسرها ! وإذا أرادوا بعث السرور لجأوا إلى طائفة من النكات ... لا أشك لحظة أنهم إنما جمعوها من الشارع ... من تلك الحانات التى يدعونها « حانات الفنانين » ، حيث تتكرر منذ خمسين عاماً ذات النكات ، فيتناقلها الطلاب ويتوارثونها ...

إذن نحن نتسلى بتمثيل رواية هزلية ، ولما كان تمثيلها يقتضى وجود سيدتين ، فقد قبل زوجى أن يقوم بدور الخادم ، وذلك اضطر أن يحلق شاربه . وليس فى استطاعتك يا عزيزتى « لوسيا » أن تتصورى مقدار التغير الذى طرأ على زوجى بعد حلق شاربه ... إننى لا أكاد أعرف ... لا ليلاً ولا نهاراً !

وإذا لم يترك شاربه ينمو من جديد ، فالمرجح أننى لا أردده

تصويب :

ختم الدكتور زكى مبارك مقاله المنشور بالعدد (٤١٧) من « الرسالة » بقول الله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب سينقلبون » . والصواب : « ينقلبون » من غير سين

حول إبصار الحبر :

تضمنت الفصول التى نشرتها لى « الرسالة » البراء بعض الأخطاء التى لا يحسن السكوت عليها ، ولذا نصلحها دقماً للبس ومحافظة على دقة العلم وأمانته :

أهديت الفصول إلى الأستاذ الفاضل منصور جرداق : (لا جردان ولا جوداق كما وردت خطأ)

(ص ٧٤٧ ع ١ س ١٨) سقطت كلمة « مصهورة » من العبارة : وهـذه الروايات تتميز أول ما تتميز بالفكرة العلمية « مصهورة » فى بوتقة الأدب الحى ...

(ص ٧٤٢ ع ٢ س ٦) وردت كلمة « جعفر » وصوابها « جلفر » إشارة إلى : Swift's Gullivers Travels

(ص ٧٦٧ ع ٢ س ٢٥) تصلح العبارة هكذا : أما حقيقتها فهى الاندماج فى وحدة « الزمكان » كاندماج الماء والملح فى الماء الملح

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٢) وردت كلمتا السبب النسبى والصواب « النسبية » الناموس المشهور .

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٩) سقطت إشارات تفقد العبارة التالية معناها : المسافة = الزمن × السرعة = الجذر التربيعى لمجموع مربعات الأبعاد الثلاثة .

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٢٥) مسرعة خطأ وصوابها سرعتها

(ص ٧٦٩ ع ١ س ٣) تبدل علامة السلب (—) فى قانون فتزجيرالد بعلامة المساواة (=)

(ص ٧٦٩ ع ٢ س ٢) وحدة (الزمكان) وليس الزمان

(ص ٧٩٥ ع ١ س ١٧) وردت كلمة علوى وصوابها عمودى

(ص ٧٩٥ ع ٢ س ١٦) اسم الكتاب هو : Human Worth of Rigorous Thinking

(ص ٧٩٥ ع ٢ س ٢٩) الصواب (دكستروز Dextrose)

(ص ٧٩٦ ع ١ س ٢) ترجمة الضوء المستقطب هى : Polarized Light.

(ص ٧٩٧ ع ١) وردت كلمة ستيد مرتين ولا حاجة بى للقول إن صوابها (سليد) كما جاءت فى مرة سابقة

هذا عدا بعض أخطاء بسيطة تغفلها لأنها ليست فى صلب الموضوع والسلام .

طبيل السالم

فى خيانته لشدة ما يبدو لى دميا بدون شارب !

والحقيقة أن الرجل لا يعد رجلاً بدون شارب ! أنا لا أحب اللحية كثيراً لأنها تكاد تدل على الإهمال دائماً ، أما الشارب ... أوه الشارب ! فإن وجه الرجل لا يستطيع الاستغناء عنه أبداً !

كلا ! لا يمكنك أن تتصورى قط إلى أية درجة تبدو هذه الفرشاة الصغيرة من الشعر ضرورية للنظر ... ولا سيما للعلاقات الزوجية !

ولقد عرضت لى فى هـذا الموضوع طائفة من الخواطر لا أجرؤ على التعبير عنها كتابة ، برغم استعدادى التام لاطلاعك عليها شفاهياً بصوت خافت وبسرور وافر

إلا أنه قد يتعذر أحياناً العثور على كلمات تصلح للتعبير عن بعض الأشياء ؛ وأكثر هذه الكلمات التى لا يمكن الاستعاضة عنها بغيرها تنحفر على القرطاس صوراً فظيعة لا أقوى معها على أن أخط شيئاً منها ... ثم إن الموضوع نفسه من الدقة والصعوبة بحيث يتطلب لباقة شديدة لمعالجته بدون التعرض لخطر

وأخيراً ماذا يمكننى أن أفعل إذا كنت لا أقدر أن أجعلك تفهمينى جيداً ؟

ولـكن اجتهدى يا عزيزتى أن تقرئى بين السطور !

أجل . عندما أبصرت زوجى بدون شارب أيقنت للحال أنه يتعذر على أن أحب ممثلاً أو مبشراً ... حتى وإن كان الأب (ديدون) نفسه أوفر المبشرين جمالاً وأشدهم إغراء إذا كان حليق الشارب !

وعند ما خلوت بزوجى كانت المصيبة أعظم ! . . . أوه يا عزيزتى لوسيا لا تسمحى قط لرجل حليق الشارب أن يقبلك إذ لا يكون لقبلاته أدنى طعم ! . . . مطلقاً ! . . . مطلقاً ! . . . فليس فى قبلاته ذلك الفلفل . . . نعم إن الشارب هو فلفل القبلات وبهارها !

تخيلى رقاً جافاً أو رطباً يلامس خدك : هذه هى قبلة الرجل الذى يحلق شاربه ... إنها بدون شك لا تساوى شيئاً !

وقد يخطر لك أن تسألينى : من أين يستمد الشارب إغراءه إذن ؟ وهل تحسبينى أعرف ذلك ؟

أول كل شىء الشارب دغدغة لذيذة جداً . . . تحسينه قبل الشعر ، فيبعث فى جسمك كله من قمة رأسك إلى أخمص قدميك رعشات سحرية تجتاحك كالتيار الكهربائى ... فالشارب هو الذى يداعب البشرة ، وهو الذى يجعلها ترتعش وتختلج ، وهو الذى يبعث فى الأعصاب ذلك التنميل العذب الذى يجعلك تتنهدين (آه) ، كما تفعلين حين يهز جسمك يد قارس !

وعلى النحر ! هل اتفق لك أن أحسست بالشارب يدغدغ نحرك ؟ إن دغدغته هذه لتسكرك وتشنج أعصابك ، وإنها لتنساب فى ظهرك إلى أن تبلغ أطرافك ، فتتلوين وتحركين أكتافك حركة خاصة ، وتلقين رأسك إلقاءة خاصة أيضاً ، وترغبين رغبة قوية فى الفرار والبقاء معاً ... إن قبلة كهذه لتستحق العبادة لشدة ما تبعثه من اللذة وما تحدثه من إثارة وتهييج

وعدا ذلك ... حقاً إنى لا أجرؤ على ... إن الرجل الذى يحب زوجه يعرف كيف وأين يجد مواضع مختبئة ليدفن فيها قبلاته ، مواضع لا تخطر للمرأة حتى عندما تخلو بنفسها ... وهذه القبلات إذا لم يتقدمها شارب لا يبقى لها طعم ، بل إنها لتغدو مخالفة للذوق والأدب !

ولك أن تفسرى ذلك بما تشائين ؛ أما أنا فأفسره هكذا : الثغر بدون شارب كالجسم بدون ثياب ! ... نعم ، لا بد من الثياب ، القليل منها إذا شئت ، ولـكن لا بد من بعضها

والخالق قد ستر بالشعر جميع مواضع الجسد التى يدفن الحب فيها ؛ فالثغر الحليق إنما يبدو كينبوع عذب وسط غابة اقتلعت أشجارها

وهنا يذكرنى بجملة لأحد رجال السياسة ما زالت تتردد فى ذاكرتى منذ ثلاثة أشهر ؛ فقد قرأ على زوجى ذات مساء فى إحدى الجرائد خطبة غريبة لوزير الزراعة السيد «ميلين» ؛ ولست أدرى إذا كان لا يزال إلى الآن فى وظيفته أم حل غيره محله

لم أكن أستمع لزوجى ، ولـكن هذا الاسم « ميلين » لفت انتباهى ؛ وقد ذكرنى — ولست أدرى لماذا — بالحياة فى بوهيميا ، وخيل إلىّ أن الحديث يدور على إحدى العاملات المتأنقات ؛ فأصخت بسمعى ، وهكذا استطاعت بعض الكلمات أن تجد سبيلاً إلى رأسى

والسيد (ميلين) أدلى إلى أهالى إميان — فيما أظن — بالتصريح التالى الذى ما فتئت أبحث عن معناه : لا وطنية بدون زراعة ! ولم أهتد إلى معنى هذه الجملة إلا فى هذه اللحظة . . . وأنا كذلك أصرح بدورى : لا حب بدون شارب !

وقد يبدو ذلك مضحكا ، حين يقال على هذه الصورة ، أليس كذلك ؟ لا حب بدون شارب ! — لا وطنية بدون زراعة . . . ! لقد كان السيد (ميلين) مصيباً فى قوله هذا الذى لم أدرك معناه قبل هذه اللحظة ...

والشارب ضرورى من جهة أخرى ، فهو الذى يحدد صورة الوجه فيجعله لطيفاً أو رقيقاً أو قاسياً أو مضحكا أو جريئاً

إن الرجل الذى يرخى لحيته إرخاء تاماً ، ويترك جميع شعره (يا لها من كلمة قبيحة !) على خديه ، لا يمكن أن يكون فى وجهه شىء من الرقة ، لأن الشعر يخفى الملامح ، وشكل الذقن والفكين يدل على أشياء كثيرة ، ولكن قلّ من يفهمها

أما الرجل الذى يترك شاربه ، فإنه يحتفظ بهيأته الحقيقية وبرقته فى وقت واحد ، والشوارب أشكال متعددة تختلف عن بعضها اختلافاً عظيما ، فهى تارة : معقصة ، معقوفة ، أنيقة . وهذه يبدو عليها أنها تحب النساء فوق وقبل كل شىء آخر !

وهى طوراً : مسننة ، مهددة ، حادة كالإبر .... وهذه تميل للخمر والخيل والحرب !

وأخرى هى : غليظة ، مترهلة ، مقززة ... وهذه تخفى عادة طبعاً حسناً ، وطيبة عظيمة إلى درجة الضعف ، ولطفاً لا يكاد يفرق عن الحياء والخجل

ثم إن ما أحبه أكثر من كل شىء فى الشارب ، إنه فرنسى وفرنسى بحت ، فقد تحدر إلينا من أسلافنا الغاليين وما انفك يتوارث حتى غدا سمة فارقة من سماتنا الوطنية

والشارب مهذار ، شجاع ، أنيق ... فهو يغطس بشاقة فى كأس النبيذ ، ويعرف كيف يبتسم بظرف ، بينما الفك الذى تستطيل لحيته ، يبدو فظاً سمجاً فى كل ما يأتيه من حركات !

وإليك حادثاً استنفد جميع دموعى وجعلنى أفتن بالشوارب على شعور الرجال : حدث ذلك خلال الحرب الماضية ، وكنت إذ ذاك فتاة صغيرة ، واتفق ذات يوم أن جرت معركة شديدة على مقربة من قصر والدى ، فأزّ الرصاص ، وقصفت المدافع منذ الصباح ، فلما هبط المساء دخل علينا قائد ألمانى واتخذ له مجلساً بيننا ، ولم يلبث فى اليوم التالى أن غادرنا . . . ثم جاء من أخبر والدى أن فى الحقول كثيراً من القتلى ، فأمر بجمعهم وجلبهم للقيام بدفنهم

فجمعوهم ومددوهم على طرفى شارع الصنوبر من أوله لآخره ، ولما بدأت تنبعث منهم روائح كريهة أخذ الجنود يهيلون عليهم التراب فى انتظار الانتهاء من تهيئة الحفرة الكبرى التى تتسع لهم جميعاً ، وهكذا لم يعد فى الإمكان رؤية شىء من جثثهم ، ما عدا رؤوسهم التى كانت تبدو للناظر كأنها نبتت من الأرض صفراء مثلها بعيونها المقفلة و ...

وقد تملكتنى رغبة قوية فى أن أراهم ، ولكنى عند ما أبصرت هذين الخطين الطويلين من الوجوه العظيمة ، شعرت كأنما أغمى على ... ثم رحت أستعرض هذه الوجوه وأنا أحاول معرفة أصحابها

كانت بذلاتهم الرسمية مطمورة تحت أطباق الثرى ، ومع ذلك فقد استطعت فجأة يا عزيزتى أن أعرف الفرنسيين من شواربهم !

كان كثير منهم قد حلقوا لحاهم يوم المعركة كأنما أرادوا أن يكونوا أنيقين لآخر لحظة من حياتهم ... ! ولكن لحاهم قد عادت فنمت قليلاً ، لأن اللحى تنمو — كما تعلمين — بعد الموت أيضاً ... وكان يلوح على الآخرين أنهم لم يحلقوها منذ ثمانية أيام ... ولكن كلهم كانوا يتميزون بوضوح تام بالشوارب الفرنسية الفخورة التى خيل إلىّ أنها تقول لى : أيتها الفتاة ! إحذرى أن تخلطى بينى وبين صديق : إنى من مواطنيك !

وقد بكيت يا عزيزتى ، أوه بكيت كثيراً ، أكثر بكثير مما لو لم أعرف هؤلاء القتلى بهذه الطريقة ...

لماذا قصصت عليك ذلك ... لا شك أننى مخطئة ... فقد بعثت هذه الذكرى فى نفسى كآبة شديدة ، جعلتنى عاجزة عن الثرثرة أكثر مما فعلت ؛ فإلى اللقاء يا عزيزتى لوسيا ، إنى أقبلك قبلات حارة ، وليحيى الشارب !!!

(القدس) ايزاك شمرسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)